وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا﴾ قرآناً عجيباً، سمّاه «روحاً» لأن فيه حياة القلوب، من ظلمات الجهل والضلال ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ما كنت تعرف ما هو القرآن؟ ولا ما هو الإيمان؟ ﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ جعلنا القرآن نوراً مضيئاً، يهدي إلى طريق الجنة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وإنك يا محمد لترشد إلى طريق مستقيم هو الإسلام.

سورة الزخرف

﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ هذا القرآن رفيع القدر، عظيم الشأن، محكم النظم، لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض ﴿صَفْحًا﴾ هل نترك تذكيركم بالقرآن؟ إعراضاً عنكم، ونعتبركم كالبهائم فلا نعظكم ولا نذكّركم؟ ﴿مُّسْرِفِينَ﴾ من أجل إسرافكم في الاستهزاء والعصيان؟ لا، بل نعظكم ونذكّركم وإن كنتم طغاةً متمرّدين!! فمن لطفه ورحمته بالخلق، أنه لا يترك دعوتهم إلى الخير، وإن كانوا معرضين عن هداية الله ﴿فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقين!؟ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما جاء نبيٌّ قومه إلا سخروا منه واستهزءوا، وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أطغى وأعتى من قومك ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سلفت أخبار الأمم الطاغين، وأحاديث إهلاكهم، حتى صارت مثلاً يُروى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ جعل لكم الأرض ممهّدة كالبساط، تستقرُّون عليها، وتبنون، وتنامون ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكونها في أسفاركم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَٰتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

﴿مَآءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار معلوم، بحيث ينفع ولا يضر ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ فأحيينا بهذا الماء أرضاً قاحلة مجدبة ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ نخرجكم من قبوركم كما أخرجنا الزرع والثمر ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف كلها من أنواع النبات، والثمار، والأزهار، والحبوب ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في البر، يعني مراكب بحرية، ومراكب برية ﴿لِتَسْتَوُۥا۟﴾ لتستقروا على ظهور ما تركبونه ﴿سَخَّرَ لَنَا﴾ وتقولوا عند ركوبكم: سبحان الذي ذلّل ويسّر لنا هذا المركب ﴿مُقْرِنِينَ﴾ وما كنا قادرين ولا مطيقين لركوبه، لولا تسخير الله لنا ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ راجعون إليه تعالى ﴿جُزْءًا﴾ جعل المشركون لله من خلقه نسلاً فقالوا: الملائكة بنات الله ﴿أَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ هل اتخذ تعالى لنفسه البنات، وخصّكم أنتم بالبنين؟ وهذا نهاية التقريع والإنكار ﴿يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ ينشأن ويكبرن على الزينة؟ ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ غير مظهرٍ لحجته إذا جادل غيره وخاصم؟ ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ اعتقدوا أن الملائكة هم إناث لا ذكور ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ هل حضروا وقت خلق الله للملائكة حتى عرفوا أنهم إناث؟ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ يكذبون ﴿أُمَّةٍ﴾ على طريقةٍ ودينٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ ونحن سائرون على طريقتهم، مهتدون بآثارهم!! لم يأتوا بحجة عقلية أو شرعية على ما زعموا، سوى تقليد آبائهم تقليداً أعمى، دون بصر ولا نظر ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟ وهذا منتهى الجهالة والغباء..!

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣
قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ
إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ
٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ
لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ
يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم
بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ وَلَوۡلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣

﴿مُتْرَفُوهَا﴾ المتنعمون فيها الغارقون في الشهوات ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ على دين وطريقة ﴿مُّقۡتَدُونَ﴾ سائرون على طريقتهم ﴿بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ بريء من هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الرحمن!! ﴿فَطَرَنِي﴾ وربي الذي خلقني، هو الذي يهديني إلى طريق الخير والسعادة ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾ جعل كلمة (التوحيد) باقية في ذريته، والعقبُ: الأولادُ والنسل ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآنُ الساطع ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ قالوا عن القرآن: إنه سحر ﴿كَٰفِرُونَ﴾ لا نؤمن أنه من عند الله ﴿مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ قال المشركون: هلَّا أُنزل هذا القرآن على رجل غنيٍّ عظيم، من أشراف قريش!! في مكة، والطائف!! استبعدوا أن ينزل القرآنُ على محمد ﷺ وهو يتيم فقير، وطلبوا أن ينزل على رجل عظيم من أشراف مكة أو الطائف ﴿يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ أهم يخصُّون النبوة بمن شاءوا؟ فإذا كان أمر الرزق والمعاش لم نتركه لأهوائهم، فكيف نترك لهم أمر النبوة؟ ﴿سُخۡرِيّٗاۗ﴾ مسخّراً بعضهم لبعض ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ لولا أن يصبحوا أمة واحدة في الكفر، لخصصنا الدنيا بالكفار! وفي الحديث: «**إن اللَّهَ يعطي الدنيا لمن يحبُّ ولمن لا يحبُّ، ولا يعطي الدينَ إلَّا لمن أحبَّه**» رواه البيهقي. استبعدت قريشٌ نزول القرآن على محمد ﷺ، وهو فقير «يتيم»، لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، واقترحوا أن ينزل على أحد الزعماء والوجهاء الكبار، وهم يعتبرون مقياس العظمة (الجاهَ، والمالَ، والزعامة) فمحمد ﷺ لم يكن زعيم قبيلة، ولا رئيس عشيرة، ولم يكن غنيًّا من الأغنياء، فكيف تنزل عليه الرسالة؟

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

﴿وَمَعَارِجَ﴾ مصاعد من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ عليها يرتفعون ويصعدون، وفي الآية إشارة لطيفة إلى ناطحات السحاب «البنايات العالية» التي ظهرت في زماننا، وتحتاج إلى مصاعد كهربائية ﴿وَزُخْرُفًا﴾ الزخرف: الذهب، ومعنى الآية بالإجمال: لولا خوف الكفر على المؤمنين، لخصصنا كامل النعيم في الدنيا بالكفار، فجعلنا لهم القصور الشاهقة، سُقُفها من فضة، ومصاعدها وأبوابها من ذهب، وفي الحديث: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافراً شربة ماء**» رواه الترمذي ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ والجنة وما فيها من أنواع الملاذ والنعيم، خاصة بالمؤمنين المتقين ﴿يَعْشُ﴾ من يعرض عن عبادة الرحمن ﴿نُقَيِّضْ لَهُ﴾ نسلّط عليه شيطاناً ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ صاحب وملازم له لا يفارقه ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ وإن الشياطين ليمنعونهم عن طريق الهدى ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ ويظن الكفار أنهم على نور وهداية من أمرهم ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، وهو من باب التغليب ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ هل باستطاعتك يا محمد أن تُسمع الأطرش؟ أو تهدي أعمى القلب والبصيرة؟ شبَّه تعالى الكفار بالصمّ وبالعمي، لأنهم لا يسمعون كلام الله، ولا يبصرون نور الحقّ والإيمان ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ إن عجَّلنا وفاتك، قبل أن ننتقم لك منهم، فإنَّا سننتقم منهم بعد وفاتك..

قال ابن عباس: (قد أراه الله ذلك يومَ بدر، ولم يقبض اللهُ رسوله، حتى أقرَّ عينه بإهلاك أعدائه، وحكَّمه في نواصيهم). ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ وإن القرآن لشرف عظيم لك وللعرب ﴿وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ عن شكر هذه النعمة.

﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ ما نريهم آية من آيات العذاب، كالطوفان، والجراد، إلا وهي في غاية الظهور والكبر ﴿يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ قالوا لموسى: يا أيها البارع في السحر ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ليكشف عنا البلاء ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بالعهد الذي أعطاك من استجابة دعائك ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ نؤمن برسالتك إن كشف ربك عنا العذاب ﴿يَنكُثُونَ﴾ ينقضون العهد ﴿مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير، لا عزّ له ولا جاه ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ لا يكاد يفصح عن كلامه ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ هلّا حُلّي بأساور الذهب إن كان عظيماً؟! ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ جاءت الملائكة ملازمين له يكتفونه شهادة بصدقه!! ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ استجهلهم بقوله، واستخفّ بعقولهم، فأطاعوه في ما دعاهم إليه من الضلالة ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ انتقمنا منهم بأشد أنواع العقاب، فأغرقناهم في البحر ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجُّون بالصياح ﴿خَصِمُونَ﴾ شديدو الخصومة بالباطل ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ ليس عيسى ابن مريم إلّا عبد مخلوق من عباد الله، أنعمنا عليه بالنبوة ﴿مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ صيّرناه أمراً عجيباً، حيث خلقناه بقدرتنا من غير أب، حتى صار كالمثل السائر.

روي أن النبي ﷺ قرأ أمام المشركين ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فضجّ المشركون وارتفعت أصواتهم بالصياح، وقالوا: شتم محمدٌ آلهتنا!! فقال أحدُ الطغاة: أليس النصارى يعبدون عيسى، واليهود يعبدون (عزيراً) وطائفة منّا يعبدون الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم!! فنزلت الآية.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ وإن نزول عيسى علامةٌ على قرب الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا تشكُّوا في أمرها فإنها آتية لا محالة، وفي الحديث: **يوشك أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم، حَكَماً مقسطاً، فيكسر الصليبَ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية..**» الحديث أخرجه البخاري ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ اختلفت طوائف النصارى في شأن عيسى، فمنهم من زعم أنه ابن الله، ومنهم من زعم أنه هو الله، ومنهم من ادعى أنه ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك ودمار ﴿بَغْتَةً﴾ تأتيهم القيامة فجأة ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ الأصدقاء والأحباب ﴿عَدُوٌّ﴾ يصبح بعضهم أعداء لبعض ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إلّا من كانت صداقته ومحبته في الله، ومن أجل مرضاته ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تُنعَّمون وتُسرُّون ﴿بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ أوانٍ من ذهب ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح من ذهب ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ في الجنة كل ما تشتهيه النفوس، من أنواع اللذائذ والمشتهيات ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الخلودُ الأبديُّ الدائم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

ذكر تعالى أن أهل الجنة، يدور عليهم خدمها بأوانٍ من الذهب، فيها ألوان الطعام، وأقداحٌ من ذهب فيها أنواع الشراب، ممّا لذَّ وطاب، وفي الجنة كلُّ ما تشتهيه النفوس من أنواع اللذائذ والمشتهيات، وممّا تُسرُّ به العيونُ من فنون المناظر الجميلة، ممّا لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، وزيادة على هذا النعيم، لهم الخلود الدائم الأبدي في الجنة، اللهم لا تحرمنا نعيمها بكرمك يا أكرم الأكرمين.!

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ۖ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفف عنهم العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ يائسون من كل خير ونجاة ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ نادوا مالكاً خازن جهنم ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليُمِتْنا حتى نخلص من هذا العذاب ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ دائمون مقيمون في العذاب، **قال ابن عباس**: لم يجبهم إلا بعد ألف سنة ﴿أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ هل أحكموا أمرهم في كيد النبي ﷺ؟ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمرنا في نصرته وحمايته ﴿أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ إن فرض أن لله ولداً فأنا أول من يعبد هذا الولد، ولكنه جلَّ وعلا منزَّه عن الزوجة والولد!! وهذا مبالغة في نفي الولد على أبلغ الوجوه ﴿يَخُوضُوا۟﴾ اتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا بدنياهم ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ معبود في السماء ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ومعبود في الأرض ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف يُصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة الأصنام؟ ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ وقول الرسول في شكواه لربه: يا رب إن هؤلاء قوم جبارون معاندون، لا يؤمنون بما جئتهم به ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم يا أيها الرسول ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة إجرامهم وتكذيبهم، وهو نهايةُ الوعيد والتهديد.. لقد تآمر المشركون على رسول الله ﷺ في (دار الندوة) واستقرَّ رأيهم على قتله، ولكنَّ الله ردَّ كيدهم في نحورهم، ونجّى رسوله من شرِّهم، وقد كانوا يتحدَّثون بهذا الأمر سراً في لقاءاتهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ففضحهم الله تعالى، وكشَفَ عنهم ثوبَ الخِداع.

* * *